

هيبته: كانت للإمام الصادق (عليه السلام) هبة ووقار تحاكي هبة ووقار الأنبياء والأوصياء، وما رآه أحد إلا هابه، إذ كانت تغلوه روحانية الإمامة وقداصة الأنبياء. عصره: عاصر الإمام (عليه السلام) الظلم والطغيان معاً في العبيدين الأموي والعباسي، فقد عايش الحكم الأموي ما يقرب أربعة عقود وقرابة الخمسة عشر سنة من الحكم العباسي وبذلك سنحت له الفرصة في بناء الأمة الإسلامية علمياً وفكرياً وعقائدياً وأخلاقياً بناءً يضمن سلامة الخط الإسلامي على المدى البعيد رغم استمرار الانحرافات السياسية والفكرية في أوساط المجتمع الإسلامي^(١).

ويمكن تقسيم عصر الإمام الصادق (عليه السلام) الى مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: من إمامته (عليه السلام) حتى إنهيار وسقوط الدولة الأموية من (١١٤-١٣٢) هجري.

المرحلة الثانية: فترة تأسيس الدولة العباسية حتى استشهاده (عليه السلام) من (١٣٢-١٤٨) هجري.

ملامح عصر الإمام الصادق (ع) من (١١٤-١٣٢) هجري:

تصدى الإمام الصادق (عليه السلام) لموقع الإمامة بعد أبيه الباقر (عليه السلام) فكان مرجعاً في الدين والسياسة والفكر والثقافة للمسلمين كافة، وبمستوى عالى من الإقدام والشجاعة، أعرب الإمام (عليه السلام) عن نواياه وبرنامجه الذي أعدّه لمستقبل المسلمين في ظل إمامته والخطة التي توهمهم لأن يكونوا ذلك النموذج السامي في المجتمع حيث يتحرك كلٌ منهم بروى واضحة المسار، بلا فوضى في الاختيار ولا ضلالة في الفكر والسلوك، ويأثر الإمام (عليه السلام) مسؤولياته بدأ بالتعريف بإمامته وإثباتها بشكلٍ علمي وعملي، فأخذ يمارس التواضع والأساليب نذلاً يضيغ أتباع أهل البيت بين القيادات المتعددة التي ان تبلور في الأذهان أن الإمام الصادق هو الرمز الإلهي والقائد الحقيقي للأمة، وأستمر الإمام تعزيز خطواته فتحرّك بأسلوب آخر بغية تعميق العلاقة بينه وبين الوجود الشيعي الذي أعدّ تفاصيله ورسم معالمه الإمام الباقر (عليه السلام)^(٢).

(١) الطبرسي، اعلام الوري، ص٤٩-٥٠.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص٢٢٢.

ولابد أن نغف هلى ملامح عصر الامام الصادق (عليه السلام) في شتى النواحي والمحاولات:-

١. الوضع السياسي:

لم يكن الوضع السياسي الذي يريد أن يتحرك الامام الصادق (عليه السلام) به قد تبدل، فهشام بن عبد الملك الذي اغتال الامام الباقر لازال هو الحاكم وأتبع نفس السياسة السابقة مع الامام الصادق وشيعته، وهي سياسة قائمة على أساس الحق الجاهلي وتتخلص في كلمتين هما: انتشاريد والاضطهاد ومن أبرز ما شهدته هذه الفترة:

ثورة زيد بن علي (عليهما السلام) سنة (١٢١) هجري:

كشفت ثورة زيد غمق المأساة التي كانت تعيشها الأمة حيث تعرض في زمن الامام الباقر (عليه السلام) لإذلالا وتوهين من قبل هشام بأعتباره أحد رجال الأمة البارزين، وأخذ يزداد قناعة بضرورة الثورة ضد الامويين حتى صمم على ذلك، وحين أوضح له جابر بن يزيد الجعفي ما عمله من رأي أخيه الباقر بثورته وذكر له أن مقتول لا محالة قال زيد لجابر: ((والله لو لم يكن إلا انا ويحيى أبني لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى))، وعن محمد بن مسلم الثقفي: ((أن جمعاً من الشيعة كان يزعمون أن زيدا صاحب الأمر منذ عصر الامام الباقر (عليه السلام) فدخلت عليه وقتل له ذلك فقال: لا ولكني من العترة)).

وكان زيد دائماً يسئل عن صاحب الأمر ويشيرون إليه ولكنه (عليه السلام) كان يجيب دائماً بقوله: ((لا ولكني من العترة فقيل له: فيمن تأمرنا؟ فأشار الي الصادق جعفر بن محمد(عليهما السلام)))، وكثيراً ما سمعوه يقول: ((جعفر إمامنا في الحلال والحرام))^(١).

لكثرة ما تعرضت ثورة زيد وشخصية زيد للتشويه والتحريف لكنه عندما قرر الثورة لم يتجاوز إمام عصره حيث طرح الأمر عليه ولقد قال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): ((سمعت أبي يقول: رحم الله عمي زيدا.. لقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكنيسة فشأنك))^(٢).

وجمع زيد بن علي الانتصار والدعاة فأعلن ثورته والتحق به عدد غفير من الناس وكان بينهم كثير من الفقهاء والمحدثين والقضاة من أصحاب الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، ولقد حقق زيد نصراً حاسماً ضد الامويين وجيشهم المتمثل بجيش أهل الكوفة يعاونهم خمسمائى من جيش الشام فهم جميعاً ألفان وثمانمائة فارس وراجل أما زيد فكان بمئتين وثمانية عشر رجلاً، وتكاثر معه الناس من أنصاره حتى بلغوا الخمسمائة بعدما كان عدد الذين تابعوه اثني عشر ألفاً،

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٠١.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ١١٨.

وأستمر القتال يومي الأربعاء والخميس من شهر المحرم الحرام ولقد حقق نصراً حاسماً ضد الأمويين واتباعهم بعد أن خاض حرباً طاحنة كادت أن تنتهي لصالحه لولا وقوع الفتنة بين أتباعه حيث احتال عليه بعض من كان يهوى هشاماً وأرسله والي الكوفة يوسف بن عمر الثقفي، وسأله: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال زيد: ((رحم الله أبا بكر وعمر صاحبي رسول الله محمد (ص) ثم قال لهم: أين كنتم قبل اليوم؟))^(١).

لقد كان الغرض من إلقاء السؤال في ذلك الموقف الحرج وفي ساحة الحرب هو أحد أمرين وفي كليهما نجاح تلك الخدعة، فإما أن يتبرأ زيد من الشيخين فيكون حينئذ أقوى لقتل زيد، لأنه أساء إلى الشيخين وتلك وسيلة اتخذها الأمويين للقضاء على خصومهم، وإما أن لا يتبرأ منهم فيكون جوابه على أي حال سبباً لإيجاد الخلاف بين أصحابه الموالين وبالفعل نجحت الموازنة وتفرق أهل الغدر وذو الأطماع وكانت هذه الحيلة التي أتبعها الموالى يوسف بن عمر أقوى سلاح نجأ إليه، كما اغرى بعض جواسيسه بالأموال ليتعرف على أصحاب زيد.

وخذل زيد وتفرق جيشه حتى قال: أراها حسينية، ونشب القتال يوم الخميس بين الفريقين قتالاً شديداً حال هبوط الليل دون استمراره وكان زيد قد أصيب بجراح كثيرة كما استقر سهم في جيبته، ونقل عنه قوله: ((أين سألني عن أبي بكر وعمر؟ هما أقالمي في هذا المقام))، وحمله أصحابه إلى إحدى قرى الكوفة واستقدموا حجماً لينزع نصله من جيبته فلما نزعه فارق زيد الحياة وأخذوا جثمانه ودفنوه في مجرى ماء وملأوا قبره بالأتربة والأعشاب وأجروا عليه الماء، وأخذ على الحجام عهداً بالأبيوح بذلك لكنه عند الصباح أخبر ولى الكوفة بذلك، الذي أخرج الجسد الشريف وأحترق رأسه وصلبه منكوساً عارياً على جذع نخلة، وكان شهادته ودفنه ليلة الجمعة السادس والعشرين من محرم (١٢١) هجري^(٢).

وأمر يوسف بن عمر بحراسة جسد زيد لكي لا ينزل فيدفن أو أكل بخشيشه لكل ليلة مئة رجل وكلهم أربعمائة رجل وبنى لهم حول الجذع دكة من أجر وبعث براسه إلى هشام فنصبه على باب دمشق ثم أرسل به إلى المدينة فصلب حتى سنة (١٢٣) هجري^(٣).

وحيثما وصل خبر استشهاده للإمام الصادق (عليه السلام) بكى بكاءً شديداً وقال: ((إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحسن عبي إنه كان نعم العم))، ثم قال: ((أما أنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أما أنه لو ظفر لوفى، أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها))،

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١١٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٣٣.

وظالما أكد على صدق موقف زيد وشهادته و منزلته السامية بقوله: ((مضى والله عمي زيد وأصحابه شهداء على ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه))^(١).

وحيثما بلغه هجاء أهل حكيم بن عباس الأعور الكلبى من أهل الكوفة بقصيدة منها:
صئبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يُصئب
وقستم بعثمان علياً سفاهاً وعثمان خير من على وأطيب

رفع أبو عبد الله (عليه السلام) يديه الى السماء وهما ينتفضان رعدة وقال: ((اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً)) فخرج حكيم من الكوفة فأدلىج فأفرسه الأسد وأكله فبُشِّر الصادق بذلك وهو في المسجد فقال: ((الحمد لله الذي صدقنا وعدة)) وسجد شاكراً^(٢).

وفي هذا الجو المشحون بتزاحم الإيرادات وحدث تمرد على الحكومة الاموية هنا وهناك بعد ثورة زيد (عليه السلام)، كان الإمام الصادق (عليه السلام) مشغولاً بترتيب أوضاعه الرسالية، وكانت انهم تثار ضدهً وضد أتباعه تارة بالخروج على السلطان وأخرى بالزندقة وجواز سب الخلفاء.

وفي هذا الجو المشحون والاضاع المزدية مات طاعية الشام هشام بن عبد الملك في يوم الاربعاء التاسع من شهر ربيع الأول سنة (١٢٥) هجري، توفي في الرصافة من أرض قنسرين وحسب عهد سابقه يزيد بن عبد الملك تولى الخلافة من بعده الوليد بن يزيد الفاسق^(٣).

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦ هجري/٧٤٣-٧٤٤م):

كان يسمى بالفاسق والزنديق فلم يكن في بني أمية أكثر إيماناً للشراب ولا أشد مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بأمر الأمة والدين منه، ومن اخبار مجونه:

- ✓ أنه كان مع دوابه وهو سكران وجاءه المؤذن يؤذنه بالصلاة فحلف أن لا يصلي إلا إحدى جواريه فليست ثيابه وصلت وهي سكرانة.
- ✓ أصطنع بركة من الخمر فكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وكان يشرب منها حتى يبين النقص من أطرافها.
- ✓ وذات يوم وجه مهندساً ليبني له بيتاً على البيت الحرام بمكة ليجلس فيه للهو وأنشد وهو سكران:

بلا وحي أتاه ولا كتاب

تعب بالخلافة هاشمي

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٥٠.